جـــامعة الأزهـــر
كلية الدراسات الإسلامية
والعـــربية للبنين بدســوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg
drya.journal@gmail.com

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

مَفْهُومُ العَقْل فِي التَّصَوُّر القُرْآنِيّ
"دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ"

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحيم جمعة سليمان
أستاذ التفسير وعلوم القرآن وعميد كلية أصول الدين بجامعة خاتم المرسلين
العالمية للتعليم عن بعد -مصر

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

مَفْهُومُ العَقْلِ فِي التَّصَوُّرِ القُرْآنِيّ
دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

محمد عبد الرحيم جمعة سليمان.

التفسير وعلوم القرآن– كلية أصول الدين، جامعة خاتم المرسلين العالمية للتعليم عن بعد، مصر.

البريد الإلكتروني: alduktur.mohammed.goma@gmail.com

ملخص البحث:

يتفق الكثير من أهل الثقافة والفكر على أن العالم يعيش أزمة إنسانية خطيرة في ظل ما تشهده الحضارة الإنسانية من صراعات دينية وفكرية وعرقية وسياسية وثقافية وجغرافية أدت إلى ترسيخ فكرة التصادم الحضاري التي أسهمت بشكل كبير في توسيع الهوة بين الثقافات والحضارات مما أدى إلى انتشار الفكر العنصري القائم على رفض الآخر. والمتتبع لهذه القضية الكبرى يجد أن السبب الرئيس لها يكمن في الانحراف الذي طغى على العقل البشري فشوشه وطمس هويته وجعله منكوسا يعمل على عكس ما أريد له فبدل أن يرسي للاستقامة تمرد على فطرته وبدل أن يعمر أصبح أكبر عامل من عوامل الهدم ولننظر جميعا إلى آثار ذلك في الأسلحة الحديثة الفتاكة وتلك الاختراعات التي أكلت ومازالت تأكل في البشرية وتعبث بمستقبلها. من أجل ذلك كان هذا البحث الذي هو بعنوان: (العقل في التصور القرآني) أستجلي فيه حقيقة العقل فما من منهج يعطيك تصورا كاملا عنه وعن حقيقته غير المنهج القرآني العظيم فهو الجدير بهذا دون غيره لأنه من لدن رب العالمين فالعقل في المنهج القرآني يمثل الركيزة العظمى التي بنيت عليها كينونة الإنسان وهويته وميزان غايته الكبرى التي تتمثل في خلافة الله في الأرض.

وقد اعتمدت في دراستي على المنهج الاستنباطي وما يتبعه من عرض وتحليل وتقرير واستنباط، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي اشتمل عليها البحث وكتابتها بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها وتوزيعها في فصول البحث ومباحثه وذلك بعرض الآية ثم عرض تفسيرها من مصدر واحد أو عدة مصادر إذا لزم الأمر وكان ذلك في خدمة الموضوع، ثم بعد ذلك التحليل واستنباط النتائج من خلال التعليق.

الكلمات المفتاحية: مفهوم العقل، التصور القرآني، دراسة موضوعية.

***

The concept of reason in the Qur'anic conception An objective study

Muhammad Abdel Rahim Juma Suleiman.
Interpretation and Qur'anic Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion, Khatam Al-Mursaleen International University for Distance Learning, Egypt.
Email: alduktur.mohammed.goma@gmail.com

Abstract:

The Holy Qur'an is the comprehensive approach that contains the effective treatment for all the diseases that humanity bears.

Many people of culture and thought agree that the world is experiencing a serious humanitarian crisis in light of the religious, intellectual, ethnic, political, cultural and geographical conflicts that human civilization is witnessing, which have led to the consolidation of the idea of civilizational clash Which contributed

significantly to widening the gap between cultures and civilizations, which led to the spread of racist thought based on the rejection of others. Anyone who follows this major issue will find that the main reason for it lies in the deviation that has overwhelmed the human mind, distorting it, obliterating its identity, and making it inverted and working in the opposite of what was intended for it. Instead of establishing integrity, it rebelled against its nature, and instead of reconstructing it, it became the biggest factor in demolition. Let us all look at the effects of this in Deadly modern weapons and those inventions that have eaten and are still eating away at humanity and tampering with its future. That's why this research was done (The mind in the Qur'anic conception) I clarify in it the reality of the mind. There is no method that gives you a complete conception of it and its reality other than the great Qur'anic method. It is worthy of this and no other because it is from the Lord of the Worlds. The mind in the Qur'anic method represents the great foundation upon which man's being and identity are built and the balance of his greatest goal on which It represents the succession of God on earth .

In my study, I relied on the deductive approach and the subsequent presentation, analysis, report, and deduction, by collecting the Qur'anic verses that were included in the research, writing them in the Uthmanic script, attributing them to their surahs, and distributing them in the chapters and sections of the research by presenting the verse and then presenting its interpretation from one source or several sources if necessary. The matter was in the service of the topic, then the analysis and conclusions were drawn through commentary.

Keywords: The concept of the mind, The Qur'anic perception, An objective study.

المشكلة البحثية:

تكمن في إيجاد دراسة محكمة تهتم بالعقل الذي جعله الله تعالى الركيزة العظمى التي بنيت عليها كينونة الإنسان وهويته وحدد له غاية كبرى تتمثل في خلافة الله في الأرض وفق منهج محدد هو المنهج الرباني القويم.

منهجي في البحث: عتمدت في دراستي على المنهج الاستنباطي وما يتبعه من عرض وتحليل وتقرير واستنباط، وذلك من خلال ما يلي:

١- جمع الآيات القرآنية التي اشتمل عليها البحث وكتابتها بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها.

٢- توزيع الآيات التي تم جمعها في فصول البحث ومباحثه، ما أمكن.

٣- عرض الآية ثم عرض تفسيرها من مصدر واحد أو عدة مصادر إذا لزم الأمر، وكان ذلك في خدمة الموضوع، ثم بعد ذلك التحليل واستنباط النتائج من خلال التعليق.

تقسيمات البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وبيانها كما يلي:

الفصل الأول: العقل وماهيته، وكيف تحدث عنه القرآن.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معنى العقل لغة وشرعا.

المبحث الثاني: العقل بين التصور المادّي والتصور القرآني.

الفصل الثاني: خصائص العقل وعلاقته بالنقل في التصور القرآني.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: خصائص العقل في التصور القرآني.

المبحث الثاني: علاقة العقل بالنقل.

الفصل الثالث: المنهج التطبيقي لعمل العقل وأثره على سلوك الإنسان.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المنهج التطبيقي لعمل العقل في التصور القرآني.

المبحث الثاني: أثر العقل على سلوك الإنسان في التصور القرآني.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج، والتوصيات.

وفي النهاية الفهارس.

مقدمة

الحمد لله على القرآن الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى.

إن القرآن الكريم هو المنهج الشامل الذي يحمل العلاج الناجع لكل ما تحمله البشرية من أمراض، وهو المنهج الذي يضمن سعادة البشرية في معاشها ومعادها.

يتفق الكثير من أهل الثقافة والفكر على أن العالم يعيش أزمة إنسانية خطيرة في ظل ما تشهده الحضارة الإنسانية من صراعات دينية وفكرية وعرقية وسياسية وثقافية وجغرافية أدت إلى ترسيخ فكرة التصادم الحضاري التي أسهمت بشكل كبير في توسيع الهوة بين الثقافات والحضارات ويسهم في انتشار الفكر العنصري ورفض الآخر.

وفي خضم هذه الصراعات وجدنا أصواتًا عاقلة تبحث مخرج من هذا المأزق الذي يهدد البشرية في وجودها، وقد بحثوا يمنة ويسرة علهم يجدوا لذلك المأزق مخرجا ينقذ البشرية من الهلاك المحتوم الصائرة إليه.

إن المتتبع لهذه القضية الكبرى يجد أن السبب الرئيس لهذه المعضلة يكمن في الانحراف الذي طغى على العقل البشري فشوشه وطمس هويته وجعله منكوسا يعمل عكس ما أراد الله، فبدل أن يرسي للاستقامة تمرد على فطرته، وبدل أن يعمر أصبح أكبر عامل من عوامل الهدم، ولننظر جميعا إلى آثار ذلك في الاختراعات التي أكلت ومازالت تأكل في البشرية وتعبث في مستقبلها.

لقد أصبحنا اليوم في أمسِّ الحاجة للعودة بالإنسان إلى فطرته الربانية التي فطره الله عليها... تلك الفطرة السوية التي تصور الإنسان بأنه الكائن المتفرد في خلقته المستقل في نوعه الوحيد في نشأته المكرم في ذاته وحياته المفضل على الخلق بعقله المميز به ... ذلك العقل المفكر المبدع فوالله ما كرم الإنسان إلا به.

يقول الله تعالى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)** (الإسراء:٧٠).

يقول الألوسي: "وقوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ ... أي: جعلناهم قاطبة بَرُّهُم وَفَاجِرُهم، ذوى كرم، أي: شرفٍ ومحاسنَ جمة لا يحيط بها نطاق الحصر".(١)

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني =

يقـــول طنطـــاوي: "ومنـــاط التكـــريم ولبـــه تكمـــن فـــي تمييـــزهم بالعقـــل والنطـــق والاســـتعدادات المتعددة، التي جعلتهم أهلا لحمل الأمانة، فالعقل مناط التكليف وبدونه يسقط." (١)

قال الله- سبحانه-: **(إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمَانَـةَ عَلَى السَّـماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبـالِ فَـأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهـا وَحَمَلَهَـا الْإِنْسـانُ)** (الأحزاب:٧٢)، والإنسان بهذا التكليف هو صاحب أعظم غاية في هذا الوجود وهي خلافة الله في أرضه ... لقد أصبحنا اليوم في أمسِّ الحاجة إلى العودة بالعقل البشري النابت من الفطرة السليمة المقيد بالمنهج الربّاني القويم الضابط لحركته الموجه لبوصلته إلى ما فيه الخير والسلام، من أجل ذلك شمرت عن ساعد الجد وقدمت بحثي الذي هو بعنوان:

(مَفْهُومُ العَقْلِ فِي التَّصَوُّرِ القُرْآنِيّ، دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)

حيث إن التصور القرآني يمثل التصور الرباني في الأرض، فإن نجحنا في العودة بالعقل إلى هذا النبع الربّاني الصافي فقد أهدينا البشرية طوق النجاة التي تبحث عنه وتتوق إليه.

ولقد وقع الاختيار على هذا الموضوع بعد البحث في القرآن الكريم، فوجدت آيات كثيرة تغطي هذا الموضوع من كافة جوانبه بالإضافة إلى آيات متممة ومكملة وتابعة للموضوع؛ فإن وُفِّقْتُ في هذا الموضوع فبتوفيق من الله عز وجل، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله.

أسباب اختيار الموضوع:

١- تحدُّث عدد كبير من الآيات القرآنية في موضوع البحث مما كان له الأثر الأكبر لتشجيعي على القيام بهذا البحث.

٢- أنه يمثل جانبًا تطبيقيًّا للون هام من ألوان التفسير الموضوعي، يتمثل في دور العقل السليم في إدارة البشرية إلى ما فيه صلاح الدنيا والدين.

=

الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ج ١٥ ص ١١٧.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة ١٩٨٩: الأولى ج٨ ص٢٩٨..

٣- أنه يتعلق بموضوع هام وهو أحد الضرورات الخمس – مقاصد الشريعة- التي تشكل لب احتياجات الإنسان في الحياة.

٤- بيان كيف صاغ القرآن الكريم مفهوما واضحا وصريحا للعقل وكيفية استخدامه .

المشكلة البحثية لموضوع البحث:

تكمن المشكلة البحثية لهذ الموضوع في أهمية وجود دراسة علمية واضحة المعالم محددة الأطر توضح بالدليل القاطع والبرهان الساطع كيف انفرد القرآن الكريم في صياغة هذه الركيزة المتمثلة في العقل وأسَّس لها ولطريقة استخدامها بما يخدم الإنسان فيما أوكل إليه وهي خلافة الله في أرضه وتساعده في صيانته، وذلك وفق منهج محدد ومستقل وشامل ومتكامل، يكون مرجعا للدارسين وحجة على المشككين والمغرضين، وأيضا يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى مجموعة من الأهداف، من أهمها:

١- ابتغاء مرضات الله، وهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

٢- عرض هذا الموضوع عرضًا متكاملًا يغطيه من كافة جوانبه.

٣- بيان التأصيل القرآني لهذه الركائز الضرورية، وكيف وضع لها الأسس الثابتة التي تضمن لها البقاء والحماية.

٤- بيان فساد وقصور المناهج الأرضية في تناول هذ الركائز بالدراسة والتحليل.

٥- بيان أن هذه الركائز التي تشكل هوية الإنسان الذاتية ربانية المبنى والمنهج والغاية.

الجهود السابقة:

بعد الدراسة والتحري تبين لي أن هناك موضوعات ومقالات تطرقت لنواح عدة من جوانب هذا الموضوع، لكنها لم تتطرق لهذا الموضوع بهذا الشكل الموجود في بحثي، ومن هنا أقول إن هذا الموضوع بهذا الشكل لم يتطرق إليه أحد بهذه الصورة التي عليها بحثي.

منهجي في البحث.

اعتمدت في دراستي على المنهج الاستنباطي، وما يتبعه من عرض وتحليل وتقرير واستنباط، وذلك من خلال ما يلي:

١- جمع الآيات القرآنية التي اشتمل عليها البحث، وكتابتها بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها.

٢- توزيع الآيات التي تم جمعها في فصول البحث ومباحثه ومطالبه، ما أمكن.

٣- عرض الآية ثم عرض تفسيرها من مصدر واحد أو عدة مصادر إذا لزم الأمر، وكان ذلك في خدمة الموضوع، ثم بعد ذلك التحليل واستنباط النتائج من خلال التعليق.

٤- الاكتفاء بقول المفسر وعدم التدخل في حالة وضوح المعنى المقصود من البحث.

٥- الاعتماد الكامل على كتب التفسير القديمة والحديثة.

٦- الاستدلال بالأحاديث الشريفة ومحاولة تخريجها ونقل حكم العلماء عليها، ما أمكن.

٧- عرض آراء وأقوال العلماء المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية مع الحرص على الأمانة العلمية.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وبيانها كما يلي:

الفصل الأول: العقل وماهيته، وكيف تحدث عنه القرآن.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معنى العقل لغة وشرعا.

المبحث الثاني: العقل بين التصور المادّي والتصور القرآني.

الفصل الثاني: خصائص العقل وعلاقته بالنقل في التصور القرآني.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: خصائص العقل في التصور القرآني.

المبحث الثاني: علاقة العقل بالنقل.

الفصل الثالث: المنهج التطبيقي لعمل العقل وأثره على سلوك الإنسان.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المنهج التطبيقي لعمل العقل في التصور القرآني.

المبحث الثاني: أثر العقل على سلوك الإنسان في التصور القرآني.

الخاتمة: **أولا:** أهم النتائج. **ثانيا:** التوصيات.

الفهارس:

١- فهرس الآيات. ٢- فهرس الأحاديث ٣- فهرس الأعلام.

٤- **فهرس المصادر والمراجع.**

٥- **فهرس الموضوعات.**

الفَصْلُ الأَوَّلُ

العَقْلُ وَمَاهِيَّتُهُ وَكَيْفَ تَحَدَّثَ عَنْهُ القُرْآنُ.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: العقل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: معنى العقل لغة وشرعا:

العقل في اللغة: هو مصدر من عقل يعقل عقلًا معقولا، والجمع عقول، يقال رجل عاقل، هو الجامع لأمره ورأيه، والعقل مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، والعاقل جمعه عقلاء، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها، أُخِذَ من قولهم قد اعتقل؛ لأنه إذا حُبسَ ومنع الكلام، ويقال أيضًا العقل: العلم، والدية، والحصن ... ومرض فلان، فاعتقل لسانه، إذا امتنع لسانه عن الكلام، فلم يقدر عليه، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الناقة: (اعقلها وتوكل)، وذلك الحبل الذي تعقل به الناقة يقال له العقال، والجمع عقل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عن القرآن الكريم: (لهو أشدُّ تفصيًّا منَ الإبلِ مِن عُقُلِها)[1].

وخلاصة القول في ذلك: إنّ العقل في اللغة يطلق على المنع والحبس، ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، ويحبسه عن ذميم القول والفعل، ومن معاني العقل الفهم والبيان، يقول الرجلُ للرَّجُلِ: أعقلت ما رأيت أو سمعت؟ فيقول: نعم، يعني: أني قد فهمت، وتبينت، والعرب إنما سمت الفهم عقلا؛ لأن ما فهمته فقد قيدته بعقلك، وضبطته.[2]

---

(١) . لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ج٩، (مادة عقل) صـ ٣٢٦ . ٣٢٧ . وينظر: صحيح الجامع المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢الرقم: ١٠٦٨، وينظر: صحيح الجامع المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢الرقم: ١٠٦٨.

(٢) . القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت =

فالعقل هو الضابط لحركة الإنسان في أقواله وأفعاله وهو الذي يميّز به الصّواب والخطأ والنّافع والضّار.

ومن هنا نقول إن الإنسان العاقل هو الإنسان الذي يستطيع أن يميّز بين ما هو صواب وحقّ، أو ما هو عكس؛ وذلك لأنّ العقل يزوّد الإنسان بالأسباب والأدوات التي تؤدّي إلى إدراك الأمور والقضايا وتمييزها وتحليلها والحكم عليها، ومن ثم اختيار الأصوب والأصحّ بينها وترجيحه، وهذا التعريف اللغوي للعقل يوضح مراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– من قوله: "عقلناها"، في قوله في الحديث الذي جاء في صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى: (إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم؛ قرأناها، ووعيناها، وعقلناها". و عقلناها": أي فهمناها، وضبطناها، وأمسكناها) [(١)]، فما سمي العقل عقلا إلا لأنه يمسك ما علمه، ويضبطه، ويفهمه.

المطلب الثاني: تعريف العقل في الاصطلاح.

تنوعت التعريفات الاصطلاحية في العقل، فمنهم من قال: العقل الوسيلة الواعية التي يستعملها الإنسان في خدمة الفطرة؛ ليرفعها إلى مستوى المسؤولية والتكليف، إدراكًا للكون واستخدامًا لِمَا فيه من طاقات واستقصاء لأسراره ومقاصده[(٢)]، ومنهم من قال: هو القوة المتهيئة لقبول العلم[(٣)].

=

– لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م عدد الصفحات: ١٣٥٧ص١٠٣٣.

(١) . ينظر: صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م عدد الأجزاء: ٥ الرقم: ١٦٩١٣،
صحيح البخاري لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تح: جماعة من العلماء ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها ط١: ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة عدد الأجزاء: ٩: ٥٠ ٣٣.

(٢) . أحمد عروة، العلم والدين؛ مناهج ومفاهيم، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٤٠.

(٣) . بصائر ذوي التمييز، المؤلف الفيروز أبادي المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون
=

ومنهم من قال: العقل ملكة يتأتى بها درك المعلومات[١]. ومنهم من قال: العقل هو جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان.[٢]

نستنتج من التعريفات السابقة أن العقل هو: الجوهر الربّاني الذي خلقه الله متعلقا ببدن الإنسان تعلق ملازمة لذاته، كما أنه الغريزة التي تميزه عن سائر الحيوان، وهو أيضا الملكة الحافظة الممسكة للعلوم التي تلازم الإنسان العاقل فتقع في نفسه ابتداء وهو مفطور عليها، وتتمثل في العلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات، وهو أيضا حافظة العلوم المستفادة من التجارب المكتسبة والأعمال التي يستوجبها العلم؛ من إيمان بالله، وتصديق بكتبه، ورسله، والتزام بأمره ونهيه.

إذا تتبعنا هذا التعريف سنجده قد اشتمل على أربعة معان قيلت في العقل، لا ينفك واحد منها عن الآخر، متى فقد واحد منها قيل لصاحبه: ليس له عقل:

المعنى الأول: الغريزة التي في الإنسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان؛ فبها يعلم، وبها يعقل، وبها يميز، وبها يقصد المنافع دون المضار.

يقول أبو حامد الغزالي عن هذا المعنى: "إنه الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية".[٣]

ويقول الماوردي: "فالغريزي هو العقل الحقيقي، وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه إلى زيادة، ولا يقصر عنه إلى نقصان، وبه يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان"[٤].

المعنى الثاني للعقل: هو العلوم التي تلازم الإنسان العاقل فتقع في نفسه ابتداء وهو مفطور

=

الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦ ج٤، ص٨٥.

(١) الأشباه والنظائر، المؤلف: عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، (د. ط)، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٧..

(٢) التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م عدد الصفحات: ٢٦٢ص١٧٣.

(٣) الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت عدد الأجزاء: ٤: ج١ ص١٢١.

(٤) أدب الدنيا والدين المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م عدد الصفحات: ٣٥٨ص٣.

عليها، ولا تنفك عن ذاته، وتتمثل في: العلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات. وهذا معنى من معاني العقل؛ إذ ثمة علوم (تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز، بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات؛ كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد)، وأن (الشيء لا يخلو من وجود أو عدم، وأن الموجود لا يخلو من حدوث أو قدم، وأن من المحال اجتماع الضدين). وهذه العلوم "تشمل جميع العقلاء. يقول تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ) (الرعد:١٦)، يقول صاحب الوسيط: قل لهم – أيضا – أيها الرسول الكريم : كما أنه لا يستوى في عرف كل عاقل الأعمى والبصير والظلمات والنور، فكذلك لا يستوى الكفر والإيمان، فإن الكفر انطماس في البصيرة ، وظلمات في القلب، أما الإيمان فهو نور في القلب وإشراق في النفس. [١]

المعنى الثالث للعقل: هي تلك العلوم المستفادة من التجارب، والمكتسبة بواسطة العقل، والتي يضبطها الإنسان، ويمسكها، وهذا العقل يعد نتيجة للعقل الغريزي، وهو (نهاية المعرفة، وصحة السياسة، وإصابة الفكرة، وليس لهذا حد؛ لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل).

وعنه يقول الغزالي: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال؛ فإن من حنكته التجارب، وهذبته المذاهب، يقال إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة، يقال إنه غبي، غمر، جاهل. فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا. [٢] ونماء هذا النوع يكون بأحد أمرين، هما:

١- **كثرة الاستعمال؛** كالذي يحصل لذوي الأسنان من الحنكة، وصحة الرؤية، بكثرة التجارب، وممارسة الأمور.

٢ – **وفرط الذكاء، وحسن الفطنة.**

لقد كانت العرب تقول: "العقل: التجارب"، وقد سئل بعضهم عن العقل، فقال: لب أعنته بتجريب، وهذه التجارب ليس لها غاية، والعقل منها في ازدياد دائما، وأن كمال العقل في طول التجارب فكلما كثرت تجارب الإنسان، اتسع أفقه وزاد عقله، بسبب ازدياد علومه، ومكان ضبط هذه العلوم هو القلب؛ إذ هو وعاء العلم.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى تاريخ النشر:١٩٩٨ ج٧ ص٤٦٢.

(٢) إحياء علوم الدين ج١ص٨٥-٨٦..

الرابـع للعقـل: وهـي الأعمـال التـي يسـتوجبها العلـم؛ مـن إيمـان بـالله، وتصـديق بكتبـه، ورسـله، والتزام بأمره ونهيه؛ كحَبْس النَّفْسِ على الطاعات، وإمساكها عن المعاصي.

يقـول الغزالـي: هـذا المعنـى الرابـع مـن معـاني العقـل، فـي غايـة الأهميـة؛ وذلـك لأنـه سـيترتب عليـه فـوز العبـد برضـا الله مـن عدمـه كمـا أنـه يشـكل لـب العقـل وثمـرة عملـه والغايـة مـن وجـوده.

يقـول ابـن تيميـة: لفـظ العقـل يطلـق علـى العمـل بـالعلم. [1] فالعمـل مـن لـوازم العقـل؛ لأن صاحب العقل إذا لم يعمل بعلمه، قيل: إنه لا عقل له.

بين العقل والفطرة.

نقـول إن بـين العقـل والفطـرة علاقـة تـلازم، فالعقـل ابـن الفطـرة نبـت منهـا، وكـل مـا يوافـق الفطـرة يوافـق العقـل، فـالإقرار بالخـالق جَـلَّ وَعَـلَا كمـا هـو مسـتقر فـي الفطـرة مسـتقر فـي العقـل، وبالتـالي فحـال صـاحب العقـل السـليم يمسـك علومـا ضـرورية فطريـة، يعـرف بهـا ربـه عـز وجـل، فـإن اسـتقر علـى ذلـك زكـي بـالوحي، وبالتـالي يرتقـي فـي معـارج أهـل الإيمـان، أمـا هـذا الـذي انصـرف عـن فطرتـه واتبـع هـواه فقـد صـد عـن اتبـاع موجـب العقـل، فصـار لا عقـل لـه بهـذا الاعتبار. وفي ذلك يقول تعالى: **(أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ)** (الحـج:٤٦)، يقـول صـاحب التحريـر والتنـوير: وأُطْلِقَـتِ القُلُـوبُ عَلـى نَقَاسِـيمِ العَقْـلِ عَلـى وجْـهِ المَجـازِ المُرْسَـلِ؛ لِأَنَّ القَلْـبَ هـو مُفِيضُ الـدَّمِ وهـو مـادَّةُ الحَيـاةِ عَلـى الأعْضـاءِ الرَّئِيسَـةِ، وأهَمُّهـا الـدِّماغُ الَّـذِي هـو عُضْـوُ العَقْـلِ، ولِـذَلِكَ قـالَ: (يَعْقِلُـونَ بِهـا)، وإنَّمـا آلَـةُ العَقْـلِ هـي الـدِّماغُ، ولَكِـنَّ الكَـلامَ جَـرى أوَّلُـهُ عَلـى مُتَعـارَفِ أهْـلِ اللُّغَـةِ ثُـمَّ أُجْـرِيَ عَقِـبَ ذَلِـكَ عَلـى الحَقِيقَـةِ العِلْمِيَّـةِ فَقـالَ (يَعْقِلُـونَ بِهـا)، فَأشـارَ إلـى أنَّ القُلُـوبَ هـي العَقْـلُ، فَلمـا انعـدمت الاسـتفادة مـن العقـل الـذي هـو ثمـرة الفطـرة ولـم يتقيـدوا بالشـرع الضـابط للعقـل أصـبحوا فـي مَنزِلَـةِ الأنْعـامِ لَهـم آلاتُ الِاسْـتِدْلالِ وقَـدِ انْعَـدَمَتْ مِـنهم آثارُهـا لَهـم قُلُـوبٌ لا يَعْقِلُـونَ بِهـا ولَهـم آذانٌ لا يَسْـمَعُونَ بِهـا ولَهـم أعْـيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها، وهَذا كَقَوْلِهِ تَعالى: **(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)** (البقرة: ١٧١)[2]، فهؤلاء قد متعوا بمعاني

(١) نفس المصدر السابق..

(٢) . التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية =

العقل الثلاثة المتقدمة؛ فمعهم غريزة العقل التي فرق الله بها بين العقلاء والمجانين، ومعهم أيضا علوم ضرورية فطرية، ولديهم علوم مكتسبة؛ فقد جاءته الرسل بالبينات، ولكنّهم لم يحظوا بشرف الاتصاف بهذا المعنى الرابع؛ وهو العمل بعلمه؛ لذلك يقال عنهم: إنهم غير عقلاء عن الله عز وجل. وقد وصف الله عز وجل في كتابه رجالا بالعقل، وأخبر في الوقت نفسه أنهم لم يستفيدوا منها؛ فقال تعالى: **(وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)** (الأحقاف:٢٦). فهؤلاء قد عقلوا البيان الذي لزمتهم من أجله الحجة، لكنهم لم يعملوا بما عقلوا؟ فحالهم أن لهم عقولا يعرفون بها الحق، ولكن هواهم صدهم عن اتباع موجب العقل، فلا عقل لهم بهذا الاعتبار، وقد وصفهم سبحانه وتعالى في موضع آخر بالعقل الذي يميزون به، ويعقلون به أمور الدنيا كلها في الجليل والدقيق، لكنهم للآخرة لا يعقلون.

نخرج من ذلك بما يلي:

أولا: أن العقل السليم هو النابت من الفطرة النقية التي فطر الله الخلق عليها، والمقيد بوحي السماء الذي يمثل الضابط القيم على العقل في كل شؤونه.

ثانيا: أنه إذا فقد هذا الضابط انتكست الفطرة وخرج الإنسان عن إنسانيته.

ثالثا: أن التقدم العلمي والتقني ليس علامة على صحة العقل وسلامته؛ وذلك لأن التقدم العلمي المادي هو علم مكتسب، وخير مثال على ذلك أوربا الغربية فمن الممكن جدا أن يكون رائد الفضاء رجلًا مِثْلِيًّا يتبع قوم لوط، ومن الممكن أن يكون العالم في مجال الذرة رجلًا عنصريًّا يتعامل مع بني جنسه من أصحاب البشرة السمراء كتعامله مع الكلاب.

رابعا: أنه في غياب الضابط الشرعي لعمل العقل سيعمل العقل ضد وجوده بالمرة، وخير مثال القنبلة الذرية التي أودت بحياة ربع مليون من البشر في سويعات معدودة.

=

للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ ج١٧ ص٢٨٨..

المبحث الثاني

العقل بين التصور المادي والتصور القرآني

بوأ القرآن الكريم العقل منزلة رفيعة، تتوافق مع كينونته التي أرادها الله له، ومع الغاية التي خلقه الله من أجلها يتضح ذلك من النظر والتمعن في كل آيات العقل التي ذكرت في القرآن الكريم.

يقول العقاد مبينا هذه المكانة: "لا يذكر القرآن الكريم العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه".(١)

أما المناهج المادية فهي ما بين مقدسٍ للعقل مؤله له، وبين محتقرٍ له ومعطل له.

في هذا المبحث نتحدث عن نظرة القرآن العظيم للعقل، وعن نظرة المناهج المادية له، وسنفرد لكل عنوان مطلبًا خاصًّا به.

ويشتمل هذ المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: العقل في التصور القرآني.

العقل بحق هو أعظم نعم الله على الإنسان، وهو المعجزة الربانية التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات، وهو الذي تمثلت فيه أنفع وأروع وأسمى القوى الفطرية التي أودعها الله – سبحانه وتعالى– في الإنسان، وقد أولي القرآن العظيم منزلة عظيمة تتمثل فيما يلي:

أولا: يعتبر القرآن الكريم أن العقل هو أهم الطاقات البشرية.

فنحن نجد أن جميع أركان الدين مبنية على إدراكه وقناعاته، ولذلك عدته الشريعة الغراء شرطا رئيسا من شروط التكليف، وعليه لا يحاسب الطفل أو المجنون على أفعاله، وكذلك لا يحاسب المضطر أحيانا. فالقاعدة الشرعية تقول في ظل الظروف الغير منضبطة يكون التصرف غير منضبطا.

---

(١) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، المؤلف: د عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزي، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١، صـ ١٨٥.

ثانيا: تعويل القرآن الكريم على العقل في أمر العقيدة والتكليف.

فقد جعل المنهج القرآني له ميزة واضحة في الأمر الشرعي، فالدليل العقلي يعمل جنبا إلى جنب مع الدليل النقلي. من ذلك ما يلي:

أولا: في أمر العقيدة: لقد جعل القرآن العظيم التفكر في وجود الله وإثبات وحدانيته الوظيفة الأساسية للعقل، ويعد هذا غاية التكريم له حيث دعاه إلى التفكر والتدبر في الكون، وفي خلق الإنسان، للوصول إلى الحقيقة الكبرى المتمثلة فيما يلي:

أ- **أن الله هو خالق هذا الكون ومبدعه، بما فيه ومن فيه.**

يقول تعالى: **(إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** (البقرة ١٦٤). **والمعنى** أن في كل ما ذكرناه من مخلوقاته العجيبة، وكائناته الباهرة، لدلائل ساطعة، وآيات واضحة ترشد من يعقلون ويتدبرون فيها، إلى أن لهذا الكون إلها واحدا قادرا حكيما مستحقا للعبادة والخضوع والطاعة.

يقول الإمام الرازي: واعلم أن النعم على قسمين: نعم دنيوية، ونعم دينية، وهذه الأمور الثمانية التي عدها الله- تعالى- نعم دنيوية في الظاهر، فإذا تفكر العاقل فيها واستدل بها على معرفة الصانع صارت نعما دينية، لكنّ الانتفاع بها من حيث إنها نعم دنيوية لا يكمل إلا عند سلامة الحواس وصحة المزاج، فكذا الانتفاع بها من حيث إنها نعم دينية لا يكمل إلا عند سلامة العقول وانفتاح بصر الباطن فلذلك قال: لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.(١) ويقول تعالى: **(سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ)** فصلت (٥٣).

يقول صاحب الوسيط: سنطلعهم على مظاهر قدرتنا في هذه الأشياء الخارجية التي يرونها بأعينهم، كما سنطلعهم على آثار قدرتنا في أنفسهم عن طريق ما أودعنا فيهم من حواسٍّ، وقُوى، وعقلٍ، وروح، ولقد صدق الله – تعالى – وعده، ففي كل يوم بل في كل ساعة، يطلع الناس على أسرار جديدة في هذا الكون الهائل، وفى أنفسهم تثبت لهم بما لا يدع

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ج ٤ ص ٢٢٩..

مجالا للشك أن لهذا الكون إلها مالكا حكيما عليما مدبرا، ومعلوم أن كل ذلك لا يتم إلا عن طريق العقل الذي يدرك آيات الله ويفكر في معانيها ويربط العلاقات بين الظواهر والأسباب حتى يتوصل إلى الحق. (١)

ب- **استثارت العقل بالأدلة العقلة التي تثبت وحدانيته سبحانه.**

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)** (الأنبياء:٢٢).

يقول صاحب الوسيط: ساق – سبحانه – دليلا عقليًّا مستمدا من واقع هذا الكون، فقال: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا)** (٢)، والمعنى: لو كان في السموات والأرض آلهة أخرى سوى الله – تعالى –، تدبر أمرهما لفسدتا ولخرجتا عن نظامهما البديع، الذى لا خلل فيه ولا اضطراب؛ وذلك لأن تعدد الآلهة يلزمه التنازع والتغالب بينهم . . . فيختل النظام لهذا الكون، ويضطرب الأمر، ويعم الفساد في هذا العالم، ولما كان المشاهد غير ذلك؛ إذ كل شيء يسر وفق نظام محكم دقيق فهذا يدل على أن لهذا الكون كله، إلهًا واحدًا قادرًا حكيمًا لا شريكَ له.

ثانيا: في أمور التكليف:

يشير إلى أن أصحاب العقول الذين يعلمون الحكمة من التشريع يقول تعالى: **(وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (البقرة:١٧٩).

يقول طنطاوي صاحب الوسيط: وفي هذا النداء تنبيه على أن من ينكرون مصلحة القصاص وأثره النافع في تثبيت دعائم الأمن، يعيشون بين الناس بعقول غير سليمة، فكل صاحب لب يعلم الحكمة من القصاص.(٣)

وما أحكم هذا التعبير الذي جعل في القصاص حياة، وجاء التنكير في (حياة) للتعظيم، أي في القصاص حياة لكم أي لنفوسكم، وخص (أولي الألباب) لأنهم أهل العقول الكاملة؛ وذلك لأن حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل النظر الصحيح.

(١) تفسير الوسيط ج١٢ ص ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق ج٩ ص١٩٧.

(٣) نفس المصدر ج١ ص٣٧٢.

ثالثا – دعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل في أمور التشريع.

فقد توجه القرآن الكريم بآياته التشريعية إلى أصحاب العقول؛ ليفكروا فيها ويتدبروها، ثم يعملوا على تطبيقها على الوجه الذي أمر به الله، واختصهم الله؛ لأنهم جديرون بذلك، يقول تعالى: **(وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** البقرة (٢٤٠-٢٤٢).

يقول صاحب الوسيط: هذا البيان الحكيم الواضح الذي بين الله لكم به الأحكام السابقة، يبين لكم جميع آياته وأحكامه التي أنتم في حاجة إليها؛ لكي تفهموا ما فيها وتعقلوه وتفهموا مراده، فتعلموا حلاله وتعملوا به، وتعلموا حرامه فتجتنبوه، وتعلموا فروضه وحدوده فتلتزموا بها، ومن ثم تنالون السعادة في الدنيا والآخرة. (١)

وقوله تعالى في سورة الأنعام: **(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (الأنعام ١٥١).

يقول صاحب التحرير والتنوير: وقوله: (لعلكم تعقلون) ختم بها رجاء أن يعقلوا، أي يصيروا ذوي عقول؛ لأنّ ملابسة بعض هذه المحرّمات ينبئ عن خساسة عقل، بحيث ينزّل ملابسوها منزلة من لا يعقل، فلذلك رُجي أن يعقلوا. (٢)

٤- **دلالة العقل على الممكن له والمحال عليه:** لقد سلك القرآن الكريم في هذا الأمر مسلكا عظيما يتراوح بين الأمر بالتدبر والتفكر وبين السؤال وغيره من الأساليب؛ ليثير العقل، ويحفزه وينبهه حتى يصل إلى حالة من الرقي والسمو في مدارك المعرفة والتفكير... فمن المعروف أن الكون بما فيه من آيات تدل على إبداع الخالق عز وجل، وأيضا خلق الإنسان بما فيه من المعجزات قد حيرت العقول واستثارت رغبتهم في الاطلاع والمعرفة .. هنا نجد القرآن العظيم يفتح كتاب الله المنظور المتمثل في الكون على مصراعيه داعيا العقل إلى

(١) تفسير الوسيط ج١ ص٥٥٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج٨أ ص١٦٢ .

التفكر في آيات الله ليزداد إيمانا ويقينا، يقول تعالى: **(قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)** (العنكبوت:٢٠)، هذه دعوة من الله تعالى للناس ليسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم ، فينظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم وكيف أهلكهم الله بما اقترفوا من آثام، وبذلك يقفون على كمال قدرة الله تعالى أن ينشئ النشأة الآخرة.

يقول صاحب التحرير والتنوير: فالسيرُ في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة. (١)

يقول صاحب الكشاف: فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فالذي لم يعجزه الإبداء فهو الذي وجب أن لا تُعجزه الإعادة. (٢)

أما فيما هو محال عليه إدراكه نجد أن القرآن العظيم يجيب بإجابات مقتضبة ليقول للعقل أن هنالك أشياء لا تستطيع إدراكها بقدراتك المحدودة، وأن هذه الأشياء في علم الله وحده، وبالتالي فإن عليك أيها العقل أن تركز على أشياء أخرى يجدي فيها التفكير. نذكر من ذلك:

١- قوله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ)**(ق ٣٨). **يقول صاحب الوسيط:** لقد خلقنا بقدرتنا السماوات والأرض وما بينهما من كائنات لا يعلمها إلى الله ، في ستة أوقات وما سمنا بسبب هذا الخلق العظيم نصب أو تعب أو إعياء .فالمراد بالأيام مطلق الأوقات التي لا يعلم مقدارها إلا الله – تعالى – وقيل : هذه الأيام من أيام الدنيا ، وقيل : من أيام الآخرة. (٣)

٢- قوله تعالى: **(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)**. (الإسراء ٨٥)، يقول القرطبي : وقوله – تعالى – **(قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّى)** دليل

(١) تفسير التحرير والتنوير ج٢٠ ص٢٣٠.

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط. المعرفة) المؤلف: الزمخشري؛ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم الناشر: دار المعرفة سنة النشر: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ عدد المجلدات: ١رقم الطبعة: ٣ عدد الصفحات: ١٢٣٥ ج٣ ص٤٤٨.

(٣) تفسير الوسيط ج١٣ ص٣٥١.

على خلق الروح ، أي : هو أمر عظيم ، وشأن كبير من أمر الله – تعالى – ، مبهمًا له وتاركًا تفصيله ، ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ، دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز ؛ وذلك حتى لا يبذل العقل جهدا ووقتا في التفكير فيما هو خارج قدراته. (١)

٤– توجيه العقل للتخلص من كل القيود، يتمثل ذلك في توجيهه للعقل بالتخلص من كل ما يحد من قدراته، وانطلاقاته، مثال ذلك اتباع الأسلاف دون تفكير أو تقليد الغير تقليدا أعمى يتمثل ذلك فيما يلي:

أولا: نهيه عن الاتباع الأعمى، وفي هذا يقول تعالى واصفا هؤلاء الحمقى الذين آثروا الاتباع الأعمى نافيا عنهم صفة التعقل:**(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ)**. (البقرة ١٧٠).

ففي الآية تقظيع لحال هؤلاء الذين لا عقل لهم عندما أعرضوا عن اتّباع ما أنزل الله والتشبث باتّباع ما عليه آباؤهم، حيث إنه لو كانت عقولهم نيرة ما ذهبوا هذا المذهب في إعراضهم.

ثانيا: نهيه عن التقليد الأعمى، يقول تعالى: **(بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ)** (الزخرف:٢٢)، يقول صاحب الوسيط: إنهم على هذا الحال ليس لهم في الحقيقة أي مستند يستندون إليه سواء كان من العقل أو من النقل، وإنما مستندهم الوحيد تقليدهم لآبائهم في جهالاتهم وسفاهاتهم وكفرهم، فهل حالهم هذا يقبله عاقل؟ أو يرضاه صاحب فطرة سلمية؟ أو تفكير سوي. (٢)

يقول القرطبي: وفي هذا دليل على إبطال التقليد، لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم. (٣)

٥– رفع الوصاية عن العقل:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا ج١٠ ص٣٢٤.

(٢) تفسير الوسيط ج١٣ ص٧٠.

(٣) تفسير القرطبي ج١٦ ص٧٧.

إن المنهج القرآني لا يعرف السيطرة أو الوصاية على العقل، ولهذا فقد أعطى القرآن الكريم كل الحرية للعقل؛ ليقوم بوظائفه الفكرية دون إملاء ومن دون قيود، وترك له الحرية في اختيار الطريق الذي يصل به إلى الدين الحق، قال تعالى: **(لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ)** (البقرة ٢٥٦)، **يقول السعدي**: "إنه لا إكراه في الدين؛ لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه؛ لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، فهذا الدين القويم واضح جلي لكل ذي عقل فالمُوَفَّقُ من نَظَرَ فَاعْتَبَرَ واختاره وتمسك به، أما صاحب الضلالة سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحا." (١)

نخرج من ذلك بما يلي:

أولا: إن دعوة القرآن الكريم إلى النظر العقلي وإعمال الفكر وعدم الإكراه على رأي معين هو أساس حقيقي للإيمان الصحيح.

ثانيا: يعتبر المنهج القرآني النظر العقلي دون وصاية الوسيلة السليمة المؤدية إلى الإيمان الصادق.

المطلب الثاني: العقل في تصور المنهج المادي.

بدأ التصور المادي للعقل يتشكل مع أول معصية حدثت في الأرض، حينما أقدم ابن آدم على قتل أخيهن وذلك لما في هذه الجريمة من أبعاد عظيمة نحت بالعقل عن فطرته الربانية وأخرته من عباءة المنهج وحولته من سيد مطاع إلى كائن بهيمي هلامي بلا قيمة فطاح في المادة تتقاذفه الأهواء والشهوات والشبهات فأذلته نفسه حينا وأصبح عبدا لهواه أحيانا، يقول تعالى: **(أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)** (الجاثية:٢٣)، يقول البغوي: "قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله، وقال آخرون: معناه اتخذ معبوده

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١ ص١١٠.

هواه فيعبد ما تهواه نفسه، فأصبح بهذه العبودية الخرقاء يرى الحق باطلا ويرى الباطل عين الحق، وما ذاك إلا للكبر الذي ملأ كيانه حتى إنه لا يرى إلا نفسه الإبليسية الشيطانية التي طمست فطرته ونكست هويته، فأبدع في صنع المعاصي وأتى مالم يأت به أحد من العالمين، يقول تعالى عن قوم لوط الذين هم مثال صارخ في هذا: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) (الأعراف:٨٠) والمعنى إن هذه الخصلة التي ابتدأتموها في الخلق قد بلغت الحد في الفظاعة والشناعة – واستغرقت كل أنواع الفحش، (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)، فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونكم ابتدعتموها وابتكرتموها، وجعلتموها سنة لمن بعدكم، فقد بلغتم بإتيانكم هذا المبلغ العظيم في الفساد، فأنتم فيها قدوة سوء، فعليكم وزرها ومثل أوزار من يتبعكم فيها إلى يوم القيامة، وها هم أتباعهم في كل عصر ومصر يسيرون خلفهم حذو القذة بالقذة، وإن اختلف المسمى فحقيقة الفعل واحدة وهاهم يرفعون لواء العنصرية البغيض الذي جعلوه في قاموسهم انتخاب وتطور وترقي في عالم السلالات البشرية والله تعالى، يقول: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١)

أما الدين في قاموسه خرافة أفيون تخدر به الشعوب، وقيد من الماضي يجب التخلص منه، والحرب والإبادات البشرية التي يرتكبها، والصراعات والفتن التي يبثها في الناس فهي من أجل ترويج السلاح لتزداد مبيعاته وليظل هو القوي المسيطر وسط أقوام من الضعفاء قد أكلتهم الحروب والصرعات.

وقد غلف هذه البذاءات بمواثيق ومعاهدات ومنظمات دولية ينتهي فعلها عند تحقيق مصالحه وحاجاته فما أبأسه من عقل شيطاني بائس.

كما غلف شهواته بما يسمى حقوق الإنسان التي تعطي له الحق في التدخل في كل دول وشعوب الأرض هي له وحده دون غيره.

أما دينه فيكمن في عبادة نفسه وهواه، فقد جعل من الإنسان محورا لهذا الكون وجعل من نفسه بكل ما حوت من أمراض وشهوات مالكة معبودة وجعل من الشيطان قدوة وقيادة، وصَدَقَ اللهُ العظيمُ وهو يصف حالهم إذْ يقول سبحانه: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ) (سبأ:٢٠).

يقـول صـاحب الوسـيط: والمعنـى علـى القـراءة بالتشـديد: ولقـد صـدّق علـيهم إبلـيس ظنّـه فـي قدرتـه علـى إغـوائهم، وحقـق مـا كـان يريـده مـنهم مـن الانصـراف عـن طاعـة الله – وشـكره ، فاتّبعوا خُطُواتِ الشيطان؛ بسبب انغماسهم في الفسوق والعصيان.

هـذا هـو العقـل فـي ظـلّ المـنهج المـادي عقـل عنصـري عـدواني، هـدام بغـيض، هـادم للفضـيلة، معـادٍ للقـيم، عـديم الأخـلاق، منـتكس الفطـرة، يختبـأ ويتسـتر خلـف تقـدم علمـي تقنـي زائـف أكثـر مـن نصـف أبحاثـه فـي تطـوير السـلاح بكافـة أشـكاله وأنواعـه، وفـي تطـوير الهندسـة الوراثيـة، كمـا أنـه عقـل غـارق فـي الشـهوات، وهـذا كلـه عكـس مـا أراد الله لـه، فقـد خلقـه سـيدا قائـدا ولـم يخلقـه تابعـا ذلـيلا.... خلقـه متناغمـا مـع الفطـرة الصـحيحة متوافقـا مـع المـنهج الربـاني متطابقـا معـه ومـن هنـا كـان العقـل البشـري فـي ظـل المـنهج الربـاني يمثـل القائـد النـاجح للـنفس يدلها على كل خير.

نخرج من ذلك بما يلي:

أولا: إن العقـل يسـتمد سـيادته وقيادتـه مـن فطرتـه التـي خلقـه الله عليهـا والمـنهج الربـاني القـويم بهمـا يسـيطر علـى الـنفس ويضـبط عملهـا ويـدفعها إلـى مـا فيـه صـلاحها فـي الـدنيا ورضـا الله في الآخرة.

ثانيـا: أن هنـاك صـراع دائـم بـين الـنفس الأمـارة بالسـوء وبـين العقـل فهـي تراقـب العقـل؛ لتسـيطر عليـه، فـإذا أدركـت غفلـة منـه هجمـت عليـه واسـتحوذت وسـيطرت ووجهـت وبهـذا تتحـول الغفلـة إلـى ارتكاسـة وانتكاسـة، حيـث يتحـول العقـل بهـذه الانتكاسـة مـن قائـد سـيد إلـى تـابع مهـين، وتتحـول طاقاتـه الجبـارة التفكيـر فـي الخيـر إلـى التفكيـر فـي الشـر والتـدبير لـه، ومـن ثـم يتحـول إلى شيطان عدو مبين.

* * *

الفصل الثاني

خَصَائِصُ العَقْلِ وَعَلَاقَتُهُ بِالنَّقْلِ فِي التَّصَوُّرِ القُرْآنِيّ

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول

خصائص العقل في التصور القرآني

للعقل في التصور القرآني خصائص تميزه وتعلي من شأنه وتضعه في المكان اللائق به تتمثل فيما يلي:

أولا: تعقل كل ما له شأن في عالم الشهادة.

نعلم أن الإنسان هو المستخلف في هذا العالم، يقول تعالى: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً)**(البقرة:٣٠)، والخلافة تعني السير في أرض الله وفق منهج الله، وأداة ذلك هي العقل، فكل المعارف التي تخص هذا الكون المخلوق وتساعده في تحقيق الخلافة هي من اختصاصه، ويمكن لعقله أن يدركها؛ لأن الله قد هيأه لذلك.

ثانيا: المحدودية.

ومعنى المحدودية ما يلي.

أولا: تعقل كل ما له شأن في عالم الشهادة. نعلم أن الإنسان هو المستخلف في هذا العالم، يقول تعالى: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً)**(البقرة:٣٠)، والخلافة تعني السير في أرض الله وفق منهج الله، وأداة ذلك هي العقل، فكل المعارف التي تخص هذا الكون المخلوق وتساعده في تحقيق الخلافة هي من اختصاصه، ويمكن لعقله أن يدركها؛ لأن الله قد هيأه لذلك.

ثانيا: أن علمه حادث عليه فهو لا يمتلك العلم ولا يصنعه ابتداء، وإنما علمه مرتبط بالمهمة التي خلقه من أجلها، وبتلك الأدوات المحددة في التلقي التي منحه الله إياها لِتُعِينُهُ على هذه المهمة وهو مرتبط بها ارتباطا وثيقًا لا ينفك عنها، يقول تعالى: **(وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (النحل:٧٨). والمعنى هو الذى أخرجكم – أيها الناس – من بطون أمهاتكم إلى هذه الدنيا، وأنتم لا تعلمون شيئا لا من العلم الدنيوي ولا من العلم الديني، ولا تعرفون ما يضركم أو ينفعكم وجعل فيكم الإدراك وما يتوقّف عليه الإدراك من الحياة، وذلك أن الطفل حين يولد لم يكن له علم بشيء ثم تأخذ حواسّه تنقل الأشياء تدريجًا، فجعل الله في الطفل

آلات الإدراك وأصول التفكّر، فالعقل بمثابة المركز والسمع والبصر أعظم آلات الإدراك إذ بهما إدراك أهم الجزئيّات، وهما أقوى الوسائل لإدراك العلوم الضرورية.

ثالثا: العقل وثلاثية المعرفة الإنسانية:

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ) (الحج: ٨). **قال ابن كثير – رحمه الله–**: «لما ذكر – تعالى– حال الضُّلَّالِ الجُهَّالِ المُقَلِّدِينَ لغيرهم في الآية الثالثة من هذه السورة، وهي قوله– سبحانه–: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ علم وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ، ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رءوس الكفر والبدع، فقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ أي: بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح بل بمجرد الرأي والهوى»[1]

الثاني: هداية الفطرة: وهي المشار إليها بقوله تعالى (وَلَا هُدًى)، والمعنى: أي ولا هُدًى هو مَهدِي به، وهؤلاء هم أصحاب الفطرةِ المنتكسة الذين لو تركوا أنفسهم لفطرتهم السليمة لدلتهم على التوحيد.

الثالث: المعرفة الموحاة: وهي المشار إليها بقوله: (وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) والمراد به النقل الصريح فالإنسان بلا نقل صحيح صريح، ليس له إلا الرأي والهوى، فهذه الوسائل الثلاث تؤدي جميعها إلى معرفة الله ولا ينبغي لها أن تتناقض أو تتباين، هكذا خلق الله العقل بهذه المحدودية المحددة وجعل له وظيفة في هذه الحياة وفق ما حدد له دون زيادة أو نقصان.

ثالثا: الاتساع والتطور: ونعني بها أن العقل يتسع باتساع الكون، لأنه جزء منه فهو في تطور واتساع باستمرار وكل معلومة تكتسبها أو يستنبطها تدله على معلومة أخرى وهذا في كل مجالات الحياة وهذا ما يفسر النمو والتطور في المجال العلمي والتقني، فقد استطاع من خلال البناء المعرفي أن يغزوا الفضاء ويتعرف على جانب لا بأس به من مكوناته وأسراره

نخرج من ذلك بما يلي:

أولا: أن محدودية العقل هي سر قوته، فإدراك العقل لنقصه يدفع الإنسان دائما إلى السعي وراء بلوغ الزيادة، وهكذا يصبح البحث عن المعارف والعلوم مسيرة لا نهاية لها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ ج ٥ ص ٣٩٤..

ثانيا: أن الله يدفع العقل إلى التزود بالعلم والمعرفة عن طريق مشاهدة آيات الله في الكون والتمعن فيها، **يقول تعالى: (قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ)** (يونس:١٠١)، فالتأمل في ملكوت السموات والأرض، يعين على التفكير السليم، وعلى استعمال العقل فيما يهدى إلى الحق والخير، لذا أمر الله الناس بالنظر والاعتبار فقال – سبحانه – : **(قُلِ انظروا مَاذَا فِي السماوات والأرض)** [١]

ثالثا: أمر الله تعالى بني الإنسان في شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدعائه سبحانه أن يفتح له أبواب العلم وأن يزيده من علمه يقول تعالى: **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا)** (طه:١١٤)،

قال الآلوسي: واستدلوا بالآية على فضل العلم حيث أمر – صلى الله عليه وسلم – بطلب الزيادة منه ، وذكر بعضهم أنه – صلى الله عليه وسلم – ما أمر بطلب الزيادة من شيء سوى العلم . وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول : (اللهمَّ انفعْني بما علَّمتني وعلِّمْني ما يَنفعُني وزِدْنِي علمًا) [٢].

رابعا: التناغم مع الفطرة.

فالفطرة السوية تهدي العبد إلى أصول التوحيد والإيمان، وجمهرة أهل العلم من أهل السنة وغيرهم على فطرية الإيمان، وليس يحتاج العبد لتحصيله من أصله إلى استدلال أو برهان، فضلًا عن أن يشك ويخرج من ثوب اليقين والإذعان، (والقلوب مفطورة على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل: **(أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** (إبراهيم: ١٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة."[٣]

---

(١) تفسير الوسيط ج٧ ص١٣٧.

(٢) صحيح وضعيف سنن الترمذي المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية الرقم:٣٥٩٩، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ ج ١٦ ص ٢٦٩.

(٣) مجموع الفتاوى المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن =

ويقول: "إن أصل العلم الإلهي فطري ضروري، وإنه أشد رسوخًا في النفوس، ومن حكمة ذلك أن الفطرة والعقل متفقان في معرفة الله وإثبات وجوده فهذا مركوز في الفطرة والعقول بشكل إجمالي."(١)

المبحث الثاني

علاقة العقل بالنقل

نقول إن العلاقة بين العقل والنقل في المنهج القرآني هي علاقة تناغم وتعانق وليست علاقة تضاد وتناقض، فقد أولى القرآن اهتماما كبيرا بالعقل ودوره في الوصول إلى الله وقدرته على معرفة الحكمة الإلهية من التشريع، والسنن الكونية من الخلق، يقول تعالى: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا**) (النساء:٨٢)، والمعنى أن الله تعالى أنزل القرآن متوافقا متناغما متطابقا مع العقل السليم، ولما كان كذلك وجب على الخلق أن يتدبروه بما رزقهم الله من عقول تعي وتفهم ثم تعمل وتطبق فالقرآن هو مفتاح العلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وقد أخذ العلماء من هذه الآية وأمثالها وجوب التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم، والعمل بما فيها من هدايات وإرشادات، وأوامر ونواه، وآداب وأحكام.

نخرج من ذلك بهذه الحقائق الدامغة.

١-من المستحيل أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن كل ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة لا يتعارض بأي حال من الأحوال مع العقل الصحيح المستقيم، وأن كل ما يعارض القرآن والسنة الصحيحة ما هو إلا نتاج اتباع الهوى والغرائز والشهوات.

٢-أن كل ما جاء عن العقل السليم الصحيح من منتج عقلي أو فكري أو ثقافي صحيح غير متعارض مع الدين هو من الدين بحكم أن الدين هو أصل الأصول.

٣-أن العقل الصحيح السليم والنقل الصحيح كلاهما صدر من مشكاة واحدة.

=

قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد وفقه الله الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ج١٦ص٣٢٨.

(١) نفس المصدر ج٢ص١٥.

٤-أن أعقل الناس هو الذي يطلب السلامة لنفسه والسلامة لهذه الآلة الموجودة داخل بدنه المتمثلة في العقل والسلامة للبدن والسلامة للأمة كلها بحسن التزامه بكتاب الله وبسنة رسوله.

٥-أن المنهج الرباني مقبول عقلا، فلو أن إنسانا قد صنع صنعة ولم يُرسل معها دليلًا لاستخدامها لعد ذلك مما يُفسد الصنعة، ولَعُدَّ ذلك عيبًا في صنعته ... فإذا كان ذلك فيما بين البشر، فكيف بخالق البشر الذي صنع الخلق وعدَّلهم وجعلهم في هذه الهيئة القويمة أليس من المعقول عقلا ومن المفهوم فهما أن يُنزل منهجًا من السماء يلتزم به الإنسان.

٦-أن من يقول بأن التزامه بالشرع يؤدي إلى الرجعية أو ما شابه ذلك، هو إنسان بائس لا يفهم نفسه ولا يفهم عقله ولا يفهم شيئًا في الحياة على الإطلاق؛ لأنه تربَّى على أن ما يراه بعقله القاصر هو الصواب، والحقيقة ليست كذلك؛ لأنّ العقل يقول: إن الحماية تكون في ما نزل من عند الله، وأنه الأولى بالاتباع.

٧-من المحال أن يضل الإنسان أو يشقى أو يعيش معيشة ضنكًا إذا اتبع هداية الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: **(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (البقرة:٣٨). **قال ابن تيمية:** كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرًا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفًا بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول. (١)

٨-أنه ليس في العقل الصريح ما يخالف النقل الصحيح، **يقول ابن تيمية:** من قال بموجب نصوص القرآن والسنة أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها، ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح. (٢)

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، باب هل العبد مجبور أم لا، (ج٧ – ص ٦٦٥).

(٢) نفس المصدر السابق بتصرف..

الفَصْلُ الثَّالِثُ

المَنْهَجُ التَّطْبِيقِي لِعَمَلِ العَقْلِ وَأَثَرُهُ عَلَى سُلُوكِ الإِنْسَانِ.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول

المنهج التطبيقي لعمل العقل في التصور القرآني.

بين يدي المبحث:

نتحدث في هذا المبحث عن العلاقة بين العقل وعلوم الشرع من خلال مطلبين:

الأول: العقل بين الأحكام النظرية والأحكام العملية.

الثاني: العقل بين الحكم العقلي والحكم الشرعي.

المطلب الأول: العقل بين الأحكام النظرية والأحكام العملية.

من المعلوم أن العلم الصحيح هو غاية الغايات بالنسبة للعقل السليم، والمقصود بالعلم: هو إدراك الشيء على حقيقته، ومن هنا حثّ القرآن الكريم الإنسان على إعمال عقله وفكره وجعل عدم تفاعله وتجاوبه مع النّص المنزل سببًا في دخول جهنم، فقال تعالى: **(وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ)** (الملك: آية ١٠)، فهذا حال أهل الكفر يوم القيامة حين يرون العذاب يقولون على سبيل الحسرة والندامة – لو كنا في الدنيا سمعنا إلى ما أنزل إلينا وأطعنا رسولنا الذي أرسل إلينا سماع طاعة وتفكر واستجابة، ولو عقلنا ما يوجه إلينا من هدايات ما صرنا إلى هذا المصير البائس.

فحينما نتناول دور العقل في تحصيل العلوم نجد تحصيله في العلوم النظرية يختلف عن دوره في تحصيل العلوم العملية.

يقول ابن سينا مفرقا بين الحكمة العملية والحكمة النظرية: "إن الشريعة الإلهية يستفاد منها مبادئ الحكمة العملية وحدودها على الكمال، أما الحكمة النظرية فإن الشريعة تعنى بمبادئها فقط على سبيل التنبيه تاركة للقوة العقلية أن تحصلها بالكمال على وجه الحجة."[1]

(١) رسائل الطبيعيات المؤلف ابن سينا الناشر مطبعة الهندية – الموسكي – القاهرة سنة النشر ١٩٠٨ص:٢-٣.

ومن هنا نقول: إذا صحت العقول سلمت وأذعنت للمنقول، يقول تعالى: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)** (ق:٣٧).

يقول ابن كثير: لُبٌّ يَعِي بِهِ، **وقال مجاهد:** عقل. **(أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)** أي: استمع الكلام فوعاه، وتعقله بقلبه وتفهمه بِلُبِّهِ، فالعقل الصحيح الحاضر بفطنته، هو العقل المؤمن المذعن الشاهد على صحته، وأنه وحي الله[1]، فالعلم بوجود الملائكة أصله السماع والنقل وهو مما تُجَوِّزُهُ العقولُ السليمة وتقبله، وليس مما تحيله أبدا، فالشرع الحق لا يأتِ بمحالات العقول. أما دور العقل في المعارف الدنيوية والشؤون المتعلقة بعالم الشهادة والتسخير، كالنقول المتعلقة بأخبار الأمم والشعوب فإن الأصل فيها هو الاتفاق والمعارف الإنسانية، مالم يكن هناك نص قطعي قد تكلم في شأنها؛ لأنّ موضوع المعرفة يتعلق بعالم الإنسان، فإذا ما نقلت الروايات الشعبية شيئًا عن تلك الشعوب مما لا تُجَوِّزُهُ العقول فإنه لا بُدَّ أن يخضع للدراسة والتنقيب والبحث حتى يتم قبوله والعمل بمقتضاه.

ومن هنا نقول: لقد فرق العلماء بين الأحكام العملية المتعلقة بالمعاملات والسياسة الشرعية وبين الأحكام المتعلقة بالعبادات، فجعلوا الأصل في أحكام المعاملات التعليل خلافًا للعبادات التي الأصل فيها التوقف، يقول تعالى: **(وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ)** (البقرة:٣٨٥). **يقول صاحب التحرير والتنوير:** والسمع هنا كناية عن الرضا، والقبول والامتثال وفي هذا التفريق تأكيد على دور العقل في القضايا المتعلقة بعلاقة الإنسان بالإنسان.[2]

وبناء على ما تقدم نجد أن العقل أمام ثلاثة أحكام تتمثل فيما يلي:

الأول: أقسام الحكم الشرعي.

الثاني: الحكم العقلي.

الثالث: الحكم العادي .

فالحكم الشرعي: هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من الشرع، كقولنا: الصلاة واجبة، والقتل حرام.

والحكم العقلي: هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من العقل، كقولنا: الكل أكبر من الجزء.

---

(١) . تفسير ابن كثير ح٧ ص٣٨٢.

(٢) . تفسير التحرير والتنوير ج١ ص ١٥٩.

والحكم العادي (التجريبي): هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من التجربة والعادة، كما يستفاد أن هذا الدواء لهذا الداء.

ومن هنا نقول إن الحكم العقلي منفصل عن الحكم الشرعي من حيث الموضوع، وأنه يستحيل أن التناقض بينهما، ولا يجوز مطلقا وإن وقع التناقض بينهما يؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي، فمثلا إن العبادات وأحكامها لها مقاصد وغايات لا تخرج عنها، والعقل قادر على فهم تلك المقاصد والغايات.

ومن هنا لا بد من وضع بعض القواعد لتحديد العلاقة بين ما هو عقلي وشرعي كما يلي:

أولا: أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنسجم وتتفق مع العقل السليم ولا تصطدم معه بأي حال من الأحوال، وأن من يدعي ذلك هو مجاف للحقيقة متحامل على النص الشرعي وعلى العقل فالنّص الصريح من عند الله والعقل هو صنعة الله ويستحيل التضارب أو التناقض أو التضاد.

ثانيا: إن قبول الرواية من عدمها لا بد أن تخضع للأصول التي وضعها أهل الحديث فهم أعلم الناس بذلك، وأن أي اجتهاد يخرج عن هذه الأصول والقواعد هو من باب الضلال واتباع الهوى.

ثالثا: أن محاولة إخضاع الرواية للنظريات العلمية التي لم تحسم بعد هو عمل خبيث يراد به تكذيب ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحداث البلبلة بين المسلمين وتشكيكهم في دينهم.

رابعا: أن التكليف يبدأ من العقل وأول مراحله التسليم، والتوافق مع النّص الصريح المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة.

خامسا: إن التسليم والتفويض للنصوص البشرية ينتهي إليه العقلاء بعد استفراغ وسعهم وإعمال عقولهم، والتأكد من استقامته وتوافقه مع ما جاءت به شريعة الله وبذلك يأمنون الوقوع في تقديس أخطاء وأوهام أسلافهم، فالخطأ في النقول ممكن ما دام الناقل بشرًا.

سادسا: ليس من مكائد الشيطان أن يعمل الإنسان عقله فيما يُعرض عليه من نقول وأقوال بشرية تحتمل الخطأ والصواب، وإنما أعظم مكائد الشيطان أن يعطل العقل ويحظر عليه البحث في هذه المنقولات.

المبحث الثاني

أثر العقل على سلوك الإنسان في التصور القرآني.

من المعروف أن العقل هو تلك الآلة الربانية التي وضعها الخالق في الإنسان لتصيغ كينونته وتمثل جوهره، ومن فضل الله على هذا العقل أنه أنزل إليه المنهج المتمثل في الرسالات بهدف ضبطه وتوجيهه إلى ما فيه سعادته في الدنيا وحسن مثوبته في الآخرة، هذا المبحث نتحدث عن أثر العقل في توجيه السلوك الإنساني وضرورة ارتباطه بالمنهج القويم.

المطلب الأول: الإنسان بين العقل والمنهج.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى العقل، وهو العليم بكيفيته، كما خلق روحه، والإنسان لا يعلم كيفية عقله كما لا يعلم كيفية روحه التي تسري في بدنه، والذي خلق الإنسان وسوَّاه وصنعه هو الذي وضع فيه هذا العقل، وأوجد له نظامًا يسير عليه، لقد جعل الله العقل ميزانا لهذا الإنسان يحكم به على كل شيء في عالم الشهادة، وكل ما وافق هذا العقل السليم الصحيح المرتبط مع روحه وفطرته هو المنهج القويم.

والعقل والمنهج جناحان يحلق بهما الإنسان في هذا الكون والمنهج المتمثل في وحي السماء يتطابق مع العقل السليم في كل شيء وهذا التطابق البديع من نتائجه الإنسان المتوازن يقول تعالى عن ذلك: **(قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (البقرة:٣٨). **يقول صاحب الوسيط:** والهدى من الله معناه الدلالة على ما هو حق وخير بلسان رسولٍ، أو بآيات كتاب. (١) **يقول صاحب التحرير والتنوير:** ولعل الآية تدل على أن الهدى الآتي من عند الله في ذلك قد حصل من عهد آدم ونوح وعرفه البشر كلهم، فيكون خطابًا ثابتًا لا يسع البشر ادّعاء جهله حيث نجد هنا التطابق بين الهدى المتمثل في الرسالة والعقل المستقيم؛ ولذلك نجد الآية التي تليها تبين حال المتمردين الذين لم يتفاعلوا بعقولهم مع رسالة السماء، يقول تعالى: **(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)** (البقرة:٣٩)، وهنا لطيفة عظيمة؛ لأنه سبحانه خص هؤلاء الذين جاءهم الهدى فأعرضوا عنه ولم يقبلوه ونعتهم بالكفر والتكذيب، ومن هنا يخرج من لم تبلغه الدعوة، وغير المكلَّفين، مثل الصبيان وفاقدي العقل، وهؤلاء ليسوا من أصحاب النار. فظهر أن قوله: **(والذين كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ**

(١) تفسير الوسيط ج١ ص١٠٣.

بِآيَاتِنَـــــآ . . .) جـيء بـه علـى قـدر مـن يسـتحقون الحكـم علـيهم بـأنهم مـن أصـحاب النـار والمجازاة بالعذاب الخالد الأليم.(١)

نخرج من ذلك بما يلي:

أولا: في غياب العقل ينعدم أثر المنهج وقيمته.

ثانيـا: صـور غيـاب العقـل متعـددة فقـد يغيـب لمـرض كـالجنون، وقـد يغيـب للسـن فـي مرحلـة الكهولة، يقول تعالى: (وَمِـنكُم مَّـن يُـرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُـرِ لِكَىْ لَا يَعْلَـمَ بَعْـدَ عِلْـمٍ شَيْـًٔا) (النحل:٧٠).

يقـول السـعدي: وأرذل العمـر: آخـره الـذي يبلـغ بـه الإنسـان إلـى ضـعف القـوى الظـاهرة والباطنـة حتـى العقـل الـذي هـو جـوهر الإنسـان يزيـد ضـعفه حتـى إنـه ينسـى مـا كـان يعلمـه، ويصـير عقلـه كعقـل الطفـل الـذي لا عقـل لـه. (٢) وقـد يغيـب بالفسـاد ونقصـد بالفسـاد هنـا ضـلال العقـل بسـبب طغيـان الـنفس الأمـارة بالسـوء وسـيطرتها عليـه ومـن رحمـة الله بـالخلق أنـه لا يحاسـب إلا أصحاب العقول الفاسدة التي حادت عن طريق الهدى.

ثالثـا: حينمـا يصـرح – سـبحانه – أن الهـدى صـادر منـه بقولـه: (مِّنِّـي هُـدًى) ثـم أضـافه إلـى نفسـه بقولـه: (هُـدَايَ) فهـذا للإيـذان بتعظـيم أمـر الهـدى؛ وأنـه أحـق بـأن يتبـع، وأن تقبلـه العقـول السليمة وتطمئن إليه النفوس المستقيمة.

رابعـا: أن كـل إنسـان عاقـل سـيقبل علـى هـذا الهـدى ملتزمـا بـه مطبقـا لأوامـره؛ لأن العقـل والمنهج أصلهما واحد.

خامسا: أن هذا التعانق بين المنهج والعقل سيكون سبيلا إلى عمارة الأرض وتحقيق خلافة الله فيها.

سادسـا: أنـه يسـتحيل أن يعـارض أحـدهما الآخـر فالعقـل بالنسـبة للإنسـان هـو محـور كينونتـه وضـابط سـلوكه الـداخلي والخـارجيُ والرسـالة تمثـل دليـل التشـغيل الـذي سَيُسَـرُّ بـه فـي هـذه الحيـاة، وبالتـالي فالإنسـان لا يسـتطيع بـأي حـال مـن الأحـوال أن يسـتغني عـن أحـدهما فكلاهمـا يكمـل الأخـر ويتممـه ولـذلك نقـول لهـؤلاء الـذين يقدسـون العقـل منفـردا أنكـم أصـحاب جمـود لأنكم اعتمدتم على ناقص محدود غير مبصر وستنالون مغبة هذا التقديس الجاهلي.

---

(١) . تفسير التحرير والتنوير ج١ ص١٠٣.

(٢) . تفسير السعدي ص٤٤٤.

وفـــي الأخيـــر: نقـول إن العلاقـة بـين العقـل والمـنهج هـي علاقـة تعـانق وتطـابق ولا تكـون الحضـارة الإنسـانية إلا بهـذا التطـابق والتعـانق، وخيـر مثـال علـى ذلـك الحضـارة الإسـلامية الخالـدة التـي قـادت العـالم أكثـر مـن ألـف عـام شـهدت فيهـا الأرض المحبـة والسـلام، وعاشـت تحـت لوائهـا شـعوب العـالم بمختلـف لغاتهـا وألوانهـا وأعراقهـا وأديانهـا فـي سـلام ووئـام، كمـا شـهدت إبـداعات العقـل فـي جميـع المجـالات، وإن العـالم الآن فـي أمـسِّ الحاجـة إلـى عـودة هـذه الحضارة الربانية كي يعود السلام الأرض بعد أن أفسدتها الحضارة الغربية بعنصريتها.

المطلب الثاني: الحضارة الغربية بين العقل والنقل.

لقد وقعت الحضارة الغربية في نفق مظلم حينما نظرت إلى كل الأديان من خلال نظرتها إلى المسيحية حيث إن هذه النظرة القاصرة قد تسببت فيما يلي:

أولا: أنّها ظلمت المنهج القرآني وكانت أمام عدة خيارات، فإمّا أن تتحلى بالشجاعة وتعترف بخطئها وتسلم بصحته.

وإما أن تتمسك بنصرانيتها المشوهة بصورة شكلية مع بقائها على محاربة الإسلام، وإما أن تظل على عدائها لكل ما هو ديني، وبالتالي تستمر في حربها على الدين منتهجة منهجا علمانيًّا بحتًا تتمسك فيه بالعقل وتعتمد عليه رافضةً كل ما هو روحي مهما كان مصدره، وللأسف الشديد أنها سلكت هذا المسلك فسقطت بذلك سقطة كبرى، وأصبح هذا الأمر أحد عورات هذه الحضارة، يقول تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)** (السجدة:٢٢).

يقـول القرطبـي: لا أحد أظلم لنفسه ممن ذكر بآيات ربه أي بحججه وعلاماته، ثم أعرض عنها بترك القبول إنا من المجرمين منتقمون لتكذيبهم وإعراضهم.[1] وعليه فكان لهذا الإعراض أثر كبير على الفرد والمجتمع يظهر ذلك من خلال ما يلي:

١-بالنسبة للفرد فقد أصبح غارقا في المادية تسوسه البرجماتية والمكيافلية البغيضة، وأما المجتمع فقد جنح إلى المادية الإلحادية عديمة الأخلاق والقيم.

٢-أصبح الشذوذ الفكري الذي يتصادم مع فطرة الإنسان شعارا للمرحلة المعاصرة التي يعيشها الإنسان الغربي، وليس أدل على ذلك من انتشار الشذوذ الجنسي بل والإقرار به في الدساتير والمواثيق الدولية.

---

(١) . تفسير القرطبي ج١٤ ص١٠٨.

٣- جنوح البحث العلمي إلى ما يهدم البشرية ويهددها في كيانه، والمتمثل في صناعة الأسلحة المدمرة سواء على المستوى التقني أو المستوى البيولوجي.

٤- البعد عن أولويات البشرية في العيش الكريم، حيث تنفق المليارات على برامج الفضاء في الوقت الذي نرى فيه العرايا الجياع في كل أرجاء المعمورة.

٥- التوسع في تجارة السّلاح مما ساعد على انتشار الحروب مما يؤثر على البشرية في بقائها.

***

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فقد وفقنا على إتمام هذا العمل الذي أسأل أن يكون زادا إلى حسن المصير إليه وعتاد إلى يمن القدوم عليه، فها هي القطرات الأخيرة في مشواري المبارك مع القرآن العظيم في أحد عطاءاته لا يسعني إلا أن أقول كما قال ربنا على لسان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: **(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم)** (البقرة: ١٢٧)، فبعد هذا الجهد المتواضع أتم الله علي النعمة بالانتهاء من هذا البحث الذي هو بعنوان: (مفهوم العقل في التصور القرآني)، **وقد تكلمت فيه من خلال محاور عدة:**

المحور الأول: مفهوم العقل وحديث القرآن عنه وعن ماهيته.

المحور الثاني: تحدثت في عن مفهوم العقل بين التصور المادي والتصور القرآني.

المحور الثالث: تناولت من خلاله خصائص العقل وطريقة عمله.

المحور الرابع: تحدثت فيه عن المنهج التطبيقي لعمل العقل.

المحور الخامس: تحدثت فيه عن أثر العقل على سلوك الإنسان في التصور القرآني.

وبعد البحث وفقني ربي إلى العديد من النتائج تتلخص فيما يلي:

أولا: أن القرآن الكريم قد أجل العقل ووضعه في المكانة اللائقة به.

ثانيا: أن القرآن العظيم قد تناول موضوع العقل وعالجه بطريقة علمية فذة كأغلى قيمة في الإنسان بشكل دقيق ومستقل ويتميز بالكمال والشمول.

ثالثا: أن مفهوم العقل في القرآن الكريم يحيط بموضوعه من كافة جوانبه كما أنه يغطي جميع أبعاده ويضع العلاج لما يعتريه من أمراض.

رابعا: تبين القصور والتخبط الذي تعانيه النظرية المادية في معالجتها لموضوع العقل.

التوصيات: أوصي إخواني الباحثين بتوسيع دائرة البحث في هذا الموضوع بهدف:

أولا: توضيح شمولية المنهج القرآني في تناوله لكل مرتكزات الإنسان.

ثانيا: قدرة المنهج القرآني على مناقشة المواضيع الجديدة بما يثري المسلم ويثقفه ويجعله قادرًا على الرد على الشبهات.

ثالثا: توضح الحقيقة الثابتة، وهي أن عطاء المنهج القرآني مسمر على مدار الزمان والمكان.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث وأن أرتقي بهذا العمل وأن يجعل منه إسهاما في خدمة كتابه العزيز، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ	30	البقرة	21
(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى	38	البقرة	25
(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا	39	البقرة	30
(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا	127	البقرة	33
(إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	146	البقرة	14
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ	170	البقرة	16
(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	171	البقرة	10
(وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ	179	البقرة	14
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ	240-242	البقرة	15
(وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا	385	البقرة	28
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ	1	النساء	18
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَان	82	النساء	24
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ	151	الأنعام	15
(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ	80	الأعراف	18
(قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ	101	يونس	22
قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ	16	الرعد	16
(وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ	70	النحل	31
(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ	70	الإسراء	2
(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ	85	الإسراء	16
(وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا	114	طه	22
(لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا	22	الأنبياء	14

(أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ	46	الحج	10
(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ	8	الحج	21
(قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ	20	العنكبوت	15
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ	22	السجدة	32
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ	72	السجدة	2
(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ	20	سبأ	19
(سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ	53	فصلت	14
(بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا	22	الزخرف	17
(أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ	23	الجاثية	18
(وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ	26	الأحقاف	11
(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ	37	ق	27
(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ	38	ق	16
وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ	10	الملك	27

طرف الحديث **الصفحة**

أعقلها وتوكل ٧
لهو أشدُّ تفصيًا منَ الإبلِ ٧
إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم..... ٨
اللهمَّ انفعْني بما علَّمتني ٢٣

***

أهم المصادر والمراجع

١- أدب الدنيا والدين المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م عدد الصفحات: ٣٥٨

٢- الأشباه والنظائر، المؤلف: عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، (د. ط)، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م

٣- إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت عدد الأجزاء: ٤

٤- بصائر ذوي التمييز، المؤلف الفيروز أبادي المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦.

٥- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠

٦- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م عدد الصفحات: ٢٦٢

٧- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

٨- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط.المعرفة) المؤلف: الزمخشري؛ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم الناشر: دار المعرفة سنة النشر: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ عدد المجلدات: ١رقم الطبعة: ٣ عدد الصفحات: ١٢٣٥.

٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى تاريخ النشر ١٩٩٨.
١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١.
١١- الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠.
١٢- رسائل الطبيعيات المؤلف ابن سينا الناشر مطبعة الهندية – الموسكي – القاهرة سنة النشر ١٩٠٨ص:٢-٣الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء: ٤.
١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦.
١٤- صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة عدد الأجزاء: ٩.
١٥- صحيح الجامع المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢.
١٦- صحيح وضعيف سنن الترمذي المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
١٧- صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،

القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م عدد الأجزاء: ٥.

١٨- العلم والدين المؤلف: أحمد عروة، مناهج ومفاهيم، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م،

١٩- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عدد الصفحات: ١٣٥٧.

٢٠- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ج٩، (مادة عقل)

٢١- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، المؤلف: د عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزي، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، الأجزاء: ١.

٢٢- مجموع الفتاوى المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد وفقه الله الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤.

***

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص البحث باللغة العربية	٢
٢-	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٣
٣-	المقدمـة_ وخطة البحث	٥
٤-	الفصل الأول: العقل وماهيته، وكيف تحدث عنه القرآن.	٩
٥-	المبحث الأول: معنى العقل لغة وشرعا	٩
٦-	المبحث الثاني: العقل بين التصور المادّي والتصور القرآني.	١٥
٧-	الفصل الثاني: خصائص العقل وعلاقته بالنقل في التصور القرآني	٢٤
٨-	المبحث الأول: خصائص العقل في التصور القرآني	٢٤
٩-	المبحث الثاني: علاقة العقل بالنقل.	٢٧
١٠-	الفصل الثالث: المنهج التطبيقي لعمل العقل وأثره على سلوك الإنسان .	٢٩
١١-	المبحث الأول: المنهج التطبيقي لعمل العقل في التصور القرآني	٢٩
١٢-	المبحث الثاني: أثر العقل على سلوك الإنسان في التصور القرآني	٣٢
١٣-	الخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات	٣٦
١٤-	أهم المصادر والمراجع	٣٧
١٥-	فهرس الموضوعات	٤٢

***